كلية اللغة العربية بأسيوط
المجلة العلمية

الخَصُومةُ النَّحْوِيَّةُ بينَ
ابن أبي إسحاق (ت ١١٧هـ) والفرزدق (ت ١١٠هـ)
مظاهرُها ودلالاتُها

إعداد

الدكتور / علي بن يحيى السرحاني

كلية العلوم والمهن الصحية
جامعة الملك سعود بن عبد العزيز للعلوم الصحية، السعودية.

(العدد الأربعون)
(الإصدار الأول ـ الجزء الثالث)
(١٤٤٢هـ / ٢٠٢١م)

الخَصُومةُ النَّحْوِيَّة بينَ ابن أبي إسحاق (ت ١١٧هـ) والفرزدق (ت ١١٠هـ) مظاهرُها ودلالاتُها

علي بن يحيى السرحاني
كلية العلوم والمهن الصحية، جامعة الملك سعود بن عبد العزيز للعلوم الصحية، السعودية.
البريد الإلكتروني: Sarhania@ksau-hs.edu.sa

الملخص :

يتبنى هذا البحث قضية (تعقبات ابن أبي إسحاق النحوي المستعرب للفرزدق الشاعر العربي التميمي) وقد عرض البحث القضية في ثلاثة مباحث تسبقها مقدمة وتمهيد، وتقفوها خاتمة. فعرض في مبحثها الأول لحقيقة هذه التعقبات وتأصيلها من كتب التراجم والطبقات، وما وقع في بعضها من اضطراب في النسبة. وعرض في مبحثها الثاني لموقف النحاة المعاصرين والمتأخرين من هذه التعقبات واجتهاد بعضهم في التأويل لتبرئة ساحة الشاعر العربي، ووسم آخرين لها بالخطأ الذي يعجز أن يوجد له من الصواب وجه. وعرض في مبحثها الثالث لمغزى هذه التعقبات ودلالتها، ودوافعها. وختم البحث بجملة من الاستنتاجات العلمية لهذه الدراسة. ومشكلة البحث تتمثل في تخطئة فحل من فحول شعراء الصدر الأول من الإسلام وهو شاعر عربي تميمي كلامه يقع في الحقبة التي حدّدها العلماء للاحتجاج بكلام العرب شعرًا ونثرًا. وقد صدر النقد والتخطئة من عالم مستعرب ينتمي إلى العرب ولاءً، وهو عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي الفارسي أصلًا العربي ولاءً ، بغية بيان حقيقة هذه التعقبات وما وقع فيها من اضطراب في النسبة ، وبيان محمل كلام الفرزدق عند نحاة العربية .

الكلمات المفتاحية : الخصومة النحوية، ابن أبي إسحاق، الفرزدق، الشاعر.

The syntactic rivalry between Ibn Abi Ishaq (d.117 AH) and al-Farazdaq (d.110 AH)

Its manifestations and connotations

Ali bin Yahya Al-Sarhani

College of Sciences and Health Professions , King Saud bin Abdulaziz University for Health Sciences , Saudi Arabia.

Email: Sarhania@ ksau-hs.edu.sa

Abstract:

This paper adopts the issue of (the grammatical rivalry between Ibn Abi Ishaq, the Arabist grammarian, by Al-Farazdaq the Arab poet Al-Tamimi). The research presented the issue in three topics preceded by an introduction and preface, and its conclusion. It was presented in its first topic: The reality of this rivalry and its origins from the books of translations and classes, and the disturbance in some of them that occurred in the ratio. It was presented in its second topic: the attitude of contemporary and late-stage grammarians towards this rivalry and the diligence of some of them in Hermeneutics to absolve the Arab poet, and others described it with a mistake that is unable to find a righteous way for it. It was presented in its third topic: The significance of this rivalry, its semantic, and its motives. The research concluded with a set of scientific conclusions of this study. The problem of the search is with the mistake of the poet laureate of the poets of the first period of Islam, who is a Tamimi Arabic poet whose speech falls in the era that

scholars have set to invoke the words of the Arabs in poetry and prose. Criticism and mistake were issued by an Arabist scholar, who is Abdullah ibn Abi Ishaq al-Hadrami, Persian in origin, but loyal to the Arab, and this early criticism represents a trend in the imposition of authority by grammarians over the Specialists in Islamic scholastic theology and subjecting their speech to criticism and evaluation.

Keywords : The syntactic rivalry, Ibn Abi Ishaq, AL-Farazdaq, The Poet.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على خير خلق الله أجمعين نبينا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين ... وبعد :

فقد كان العرب في ماضي جاهليتها، وصدر إسلامها تنطق الكلام على سجيتها صافٍ من لحن يشوبه، أو خطأ يعيبه، ولم يك ذلك ناشئًا عن دراية بالنحو وقوانينه، وإنما هي السليقة العربية التي فطروا عليها، وغدت جزءًا من تكوينهم الشخصي، توارثوا ذلك صغارًا، وشبوا عليه كبارًا، دونما تعلم أو تلقين، أو رياضة أو تمرين، أو إعمال فكر، أو ملاحظة سياق، أو مراعاة قانون كلامي فيما ينطقون .

ظلوا هكذا في الجزيرة العربية وباديها معزولين، وعن العالم الآخر بعيدين حتى ابتعث الله نبيه محمدًا -ﷺ- برسالته الخاتمة للعالمين، فدخلوا في دينه أفواجًا وجماعات وفرادى من كل جنس ولون، فاختلط العرب بغيرهم فكان الناتج من ذلك كما قال أبو الطيب اللغوي : « إن أول ما اختل من كلام العرب فأحوج إلى التعلم الإعراب؛ لأن اللحن ظهر في كلام الموالي المتعربين من عهد النبي -ﷺ- فقد روينا أن رجلًا أخطأ في حضرته، فقال: ارشدوا أخاكم فقد ضل»[1].

وبهذا أخذت بوادر اللحن سبيلها إلى اللسان العربي، وضرب بأطنابه في البنية والإعراب على حدّ سواء بسبب خلاط العرب بغيرهم من الأمم الأخرى.

وما لبث الحال طويلًا حتى كان بعض هؤلاء المستعربين من بناة الثقافة العربية اللغوية وواضعيها، والمدافعين عنها والحامين لقوانينها، وتميزوا على العرب في هذا الميدان، ويرجع ذلك إلى عدة أسباب :

---

(1) ينظر: مراتب النحويين. ص ١٩ .

أولها : حاجتهم الشديدة إلى تعلم العربية، والوقوف على نظامها النحوي والتصريفي حتى يتمكنوا من نطقها نطقًا سليمًا كما ينطق أصحابها بغية فهم كتاب الله تعالى وسنة نبيه -ﷺ- والتواصل مع العرب أصحاب هذه اللغة .

ثانيها : أن العرب أمة بدوية لا تحسن القراءة والكتابة .

ثالثها : أن العرب شغلوا بالفتوحات الإسلامية والخلافات الداخلية بينهم ، فاستغرقت وقتهم وجهدهم .

رابعها : أن هؤلاء المستعربين أغلبهم من الفرس ينحدرون من بلاد تشع منها الحضارة والثقافة والمعارف .

خامسها : أن هؤلاء الموالي لم ينشغلوا بأمر السياسة، أو أبعدوا عنها فوجدوا سيادتهم في العلم، وتحصيل المعارف لهذا تولى كثير منهم المناصب الثقافية في الدولة كالقضاء والدواوين، وغدوا أئمة كبارًا في عهد التابعين .

هذا ومع أن هؤلاء كانوا حملة العلم والثقافة والفكر، وأسهموا إسهامًا كبيرًا في بناء الثقافة الإسلامية والعربية، وخدموا اللغة والدين إلا أن بعضًا منهم تحكمت فيه الشعوبية، والعصبية الجنسية فأبغضوا العرب، وتستروا وراء الدين الإسلامي لتشويه العقيدة والتشكيك في صدقيتها، واتخذوا أساليب كثيرة في ذلك من الدس والوضع والطعن الذي لا يزال تراثنا الإسلامي ينوء بثقله .

فالشعوبية لا ترى للعرب تفضيلًا على الأجناس الأخرى، وأن العربي ليس إنسانًا معصومًا من الخطأ، فقد يهجم عليه طبعه وتخونه طبيعته فيقع في مخالفات لما اعتاده.

والواقع يشهد بذلك فادعاء عصمة العربي من الخطأ اللغوي يكذبه ما ورد من أخبار وروايات كثيرة ومستفيضة، وقد جعل منها العلماء سببًا لوضع النحو العربي، فابنة أبي الأسود الدؤلي لم تكن غير عربية .

هذا والبحث يقع – بعد هذه المقدمة – في تمهيد وثلاثة مباحث :

أما التمهيد: فإنه يتضمن نبذة عن ابن أبي إسحاق والفرزدق .

والمبحث الأول: فعنوانه : مظاهر الخصومة بين النحوي والشاعر .

والمبحث الثاني: موقف العلماء من انتقادات ابن أبي إسحاق .

والمبحث الثالث: دلالة هذه التعقبات ومغزاها .

ثم خاتمة البحث وفهارسه .

التمهيد

نبذة عن ابن أبي إسحاق والفرزدق

وفيه مطلبان :

المطلب الأول

ابن أبي إسحاق النحوي الحضرمي

هو: عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي ولاءً، وكان آل الحضرمي موالي لبني عبد شمس بن عبد مناف، فهو مولى الموالي[١] .

والمولى يعني به الحليف الذي يتعاهد مع غيره على أن يكون أمرهما واحدًا في النصرة، والحماية، ويكون بينهما حلف أي : عهد، والرجل الأجنبي إذا كان ذليلًا يوالي قبيلة، وينضم إليها ليعتز بهم ويحتمي، وإذا والى مولى كان ذلك في حقه أخس ولهذا عابه الفرزدق بذلك – كما يأتي – بأنه مولى الموالي .

لقد كان عبد الله بن أبي إسحاق عالمًا نحويًا ناقدًا مقدمًا مشهورًا (من القراء الأوائل) [٢].

سبقه من عزي إليهم الشغل بالنحو، أو عدو من النحاة أبو الأسود الدؤلي[٣] المؤسس الأول لهذا العلم، ونصر بن عاصم[٤]،

---

(١) ينظر في ترجمته: أخبار النحويين البصريين للسيرافي ١٨/١، وتاريخ العلماء النحويين للتنوخي ٧١/١، نزهة الألباء في طبقات الأدباء لابن الأنباري ٢٧/١، البلغة في تراجم أئمة النحو ١٦٥/١، الأعلام للزركلي ٧١/٤، إنباه الرواة للقفطي ١٠٥/٢ .

(٢) ينظر : أخبار النحويين البصريين ٢١/١ .

(٣) ظالم بن عمرو بن سفيان شاعر متشيع توفى بالبصرة سنة ٩هـ (نزهة الألباء ١: ١٩).

(٤) نصر بن عاصم الليثي أخذ عن يحيى بن يعمر توفى ٨٩هـ (تاريخ العلماء النحويين ١: ١٥٦).

وعنبسة الفيل[١]، وعبد الرحمن بن هرمز[٢]، ويحيى بن يعمر العدواني[٣]، وهذه الطبقة يعدها المؤرخون طبقة الوضع والتكوين .

وكان يعاصره شيخ القراء أبو عمرو بن العلاء[٤]، ويونس بن حبيب[٥]، وعيسى بن عمر تلميذه[٦].

وقد سئل عنه يونس بن حبيب فقالوا: «هو والنحو سواء»[٧]، وهذه المقالة تنبئ عنه أنه الغاية في النحو في عصره، وكانوا يقولون: هو أعلم أهل الأرض بالبصرة وأعقلهم.

ويصفه ابن سلام الجمحي بقوله: «أول من بعج النحو، ومد القياس والعلل»[٨].

ويعده المؤرخون وأصحاب الطبقات أول عالم نحوي حقيقي تؤثر عنه نظرات نقدية دقيقة في النحو، وعناية بالقياس والتعليل، قالوا: «كان أعلم الناس وأعقلهم بالبصرة فرع النحو وقاسه، وتكلم في الهمز حتى عُمِل فيه كتاب من إملاءاته»[٩].

---

(١) عنبسة بن معدان الفيل من تلامذة أبي الأسود (نزهة الألباء ٢٢/١) .

(٢) كان أعلم الناس بالأنساب وأحد القراء توفى ١١٧هـ (أخبار النحويين البصريين ١١/١).

(٣) من عدوان بن قيس من كنانة مقرئ أخذ عن أبي الأسود (أخبار النحويين ١٨/١) .

(٤) أحد القراء السبعة المشهورين أخذ عنه يونس النحو واللغة توفى ٦٨هـ (نزهة الألباء ٢٦/١).

(٥) يونس بن حبيب الضبي نحوي أخذ عن أبي عمرو توفى ١٨٢هـ (أخبار النحويين ٥٧/١) .

(٦) عيسى بن عمر الثقفي أخذ عن ابن أبي إسحاق توفى ١٤٩هـ (أخبار النحويين ٢١/١) .

(٧) انظر: أخبار النحويين ٢١/١، وتهذيب الكمال ٣٠٧/١٤، وبغية الوعاة ٣٠٧/٣.

(٨) ينظر: نزهة الألباء ٢٦/١ .

(٩) ينظر : من تاريخ النحو العربي ٣٧/١ .

وكان واسع الإطلاع والمعرفة بلهجات القبائل العربية، فقد سأله يونس النحوي عن كلمة «السويق» – وهو الدقيق الناعم – هل ينطقها أحد من العرب بالصاد؟ فقال : قبيلة عمرو بن تميم ينطقونها بالصاد [١].

كما كانت له معرفة بالفروق اللغوية الدقيقة بين الألفاظ التي لا يقف عليها إلا المتبحرون في العلم واللغة، فقد كان يقول : «ما رأته عيناك فهو «السُّد» بضم السين، وما لا يرى فهو السَّد بالفتح [٢].

وقد كان يقول بنظرية التناوب بين حروف الجر، فقد روى الإمام الطبري أن ابن أبي إسحاق قال – في قوله – تعالى : {عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ} [٣] : « في ملك سليمان»[٤]، فجعل « على » بمعنى «في» .

وأثبت له الزجاج مذهبًا متبعًا في القراءة قال : «وأما اختلاف الهمزتين نحو: {السُّفَهَاءُ أَلَا}[٥]، فأكثر القراء على مذهب ابن أبي إسحاق في تحقيق الهمزتين»[٦]،وقد كانت له مناظرات علمية مع أبي عمرو بن العلاء حقق فيها الظفر ، فأقر له شيخ القراء بالغلبة عليه فقال: «فغلبني ابن أبي إسحاق في الهمز»[٧] .

أخذ القراءة عن نصر بن عاصم، ويحيى بن يعمر العدواني[٨] .

---

(١) ينظر: جمهرة اللغة ٥١/١ .

(٢) ينظر: المحرر الوجيز لابن عطية ٤١٩/١.

(٣) بعض آية ١٠٢ من سورة البقرة.

(٤) جامع البيان ٤١٢/٢.

(٥) بعض آية ١٣ من سورة البقرة .

(٦) إعراب القرآن ومعانيه ٨٠/١ .

(٧) ينظر: تاريخ العلماء النحويين للتنوخي ١٥٢/١ .

(٨) ينظر: المعارف لابن قتيبة ٨٠/١ .

وقد كان يدعي الفصاحة وعدم اللحن فقال – يومًا – لبكير بن حبيب: ما ألحن في شيء من الكلام فقال بكير: ما أظن، فقال: خذ عليَّ كلمةً – بالتنوين – فقال: هذه، ومرت به سنورة فقال لها: أخسي – بالياء – فقال بكير: وهذه الثانية، وصوابها : اخسئ بالهمز[١].

فابن أبي إسحاق يُعَدَّ البنَّاء الأول لنظرية النحو العربي بما وضعه من قياس نحوي دقيق لا يسمح لأحد يخرج عليه، أو يتجاوزه حتى ولو كان فحلًا من فحول الشعر العربي كما كان يميل إلى التعليل لإضفاء مسحة من الإقناع والإمتاع للقاعدة النحوية، وممارسته للنقد العلمي تستلزم معرفة بقوانين العلم وضوابطه .

ومع ذلك فلا يعرف له كتاب في النحو سوى آراء متناثرة ذكر سيبويه في كتابه شيئًا منها[٢].

وهذه الشذرات المتناثرة لا شك قد كونت مقدمات مهمة للنحاة الخالفين سلكوا في ضوئها مسلكه، واقتفوا أثره في قضية القياس النحوي، وقد ورث نحاة البصرة عنه التشدد في القياس وجنحوا إلى الاجتهاد في استخراج العلل.

وكان ابن أبي إسحاق وتلميذه عيسى بن عمر أشد ميلًا للقياس، وكانا لا يأبهان بالشواذ، ولا يتحرجان في تخطئة العرب[٣].

وقد كان عبد الله بن أبي إسحاق أحد الأئمة المشهورين في العربية والقراءات في عصره، ويأتي في الطبقة الرابعة في النحاة المؤسسين.

---

(١) ينظر: المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده ٣٢٩/٥، ومعجم الأدباء ٧٥٠/٢، والوافي بالوفيات ١٢٨/١٠، وبغية الوعاة ٤٦٢/١، وإنباه الرواة ١٨٠/١، واللسان ٦٥/١.

(٢) ينظر: ١ /٢٧٩، ٣٤١/٢، ٢٤٢/٣، ١٢١/٤، ١٤٣، ذكر هذا ابن أبي إسحاق، وذكر موضعًا آخر بقوله : وأما عبد الله بن أبي إسحاق ٤٤/٣.

(٣) ينظر: مصادر الشعر الجاهلي ٤٣٦/١ .

المطلب الثاني

الفرزدق (الشاعر التميمي)

هو: همام بن غالب بن صعصعة التميمي الدارمي، وكنيته أبو فراس، ولد بالبصرة عام (٦٤١م) وتنقل بين البصرة والمدينة المنورة، ويعد في شعراء الطبقة الأولى في عصر صدر الإسلام توفى سنة (١١٠هـ) عاش نحو تسعين عامًا ماجنًا متحررًا مادحًا تارة، وهاجيًا تارة أخرى، وقد قيل: لولا شعر الفرزدق لضاع ثلث اللغة[١].

وقال أبو عبيدة : «إن الناس أجمعوا على أن أشعر أهل الإسلام: الفرزدق، وجرير والأخطل.... وهؤلاء أشعر أهل الإسلام بعد حسان بن ثابت؛ لأنه لا يشاكل شاعر رسول الله -ﷺ- أحد »[٢]

وروى عنه الجاحظ أنه كان يقول : «أنا عند الناس أشعر العرب، ولربما كان نزع ضرس أيسر عليَّ من أن أقول بيتًا من الشعر»[٣].

وقال عنه ابن المقفع : «وهذا الفرزدق كان مستهترًا بالنساء، وكان زير غوانٍ، وهو في ذلك ليس له بيت واحد في النسيب مذكور»[٤].

وفي أدب الكاتب لابن قتيبة: « الفرزدق: قِطَع العجين، واحدها فرزدقة، وهو لقب له؛ لأنه كان جهم الوجه»[٥].

---

(١) ينظر: الشعر والشعراء لابن قتيبة ٤٦٢/١، والحيوان للجاحظ ٤٧٣/٧، والأعلام ٩٣/٨ .

(٢) ينظر: جمهرة أشعار العرب ٩٩/١.

(٣) ينظر: البيان والتبيين للجاحظ ١٢٥/١.

(٤) ينظر: المصدر السابق ١٨١/١.

(٥) أدب الكاتب ٧٨/١ .

قال أبو عبيدة : سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول: «الفرزدق يشبه بزهير، وكان الأصمعي يقول: زهير والحطيئة وأشباههما عبيد الشعر؛ لأنهم نقحوه ولم يذهبوا به مذهب المطبوعين»[١].

وكان أبوه «غالب» يكنى بأبي الأخطل، وكان سيد بادية تميم[٢] .

وقال ابن قتيبة : «وكان الفرزدق قعنًا يفنًا يقول في كل شيء»[٣] يعني أنه فصيح يدخل في كل شيء يأتي بالأفانين .

وقال يونس : «لولا شعر الفرزدق لذهب نصف أخبار الناس»[٤].

وفي الموشح: عن الأصمعي أنه كان يقول : تسعة أعشار شعر الفرزدق سرقة، وكان يكابر»[٥].

ويمتاز شعر الفرزدق بفخامة العبارة وجزالة اللفظ، وكثرة الغريب ومداخلة الألفاظ بعضها في بعض، وكان موضع إعجاب عند أهل اللغة والنحو، حتى إن يونس النحوي كان يقول: «لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث لغة العرب»[٦].

اكتسب الشاعر فصاحته من قبيلته العربية بني تميم، وهم أرباب عراقة في الفصحى، وكان الفرزدق متغير المزاج متقلب الأحوال يهجو شخصًا اليوم، ويمدحه

---

(١) الشعر والشعراء ٤١/١ .

(٢) المصدر السابق ٤١٢/١ .

(٣) المصدر نفسه ٤٦٤/١ .

(٤) البيان والتبيين للجاحظ ٢٦٢/١.

(٥) الموشح : ١٤١/١ .

(٦) ينظر : شرح شواهد المغني للسيوطي ١٦/١.

غدًا، لقد هجا من هو ألصق به، وأقرب صلة، فقد أخته وعمته مشهرًا بهما، وقد كان صعب المراس لا يعطي انقياده لأحد، ولهذا كان من قدر الله – تعالى- أن يقع هذا النحوي القارئ مع ذلك الغضوب المتهتك، فيبسط فيه لسانه بالهجاء المقذع، والنحوي لا يكف عن تتبع سقطاته، وملاحقة زلاته مرة تلو الأخرى، متبرعًا في سبيل العلم بعرضه.

المبحث الأول

مظاهر الخصومة بين النحوي والشاعر

لقد تعقب ابن أبي إسحاق النحوي الفرزدق الشاعر، وهو المعدود في فصحاء بني تميم، وفي فحول شعراء الإسلام في جرأة لم يكن أحد من معاصريه بقادر عليها، فقد كان أبو عمرو بن العلاء، ويونس بن حبيب يتحرجان في نسبة الخطأ إلى العرب، بل يجتهدان . فيما ظاهره ذلك . في تأويله وتخريجه وإيجاد المحمل الصحيح له.

لقد احتكم ابن أبي إسحاق في نقده أبا فراس إلى مقاييس النحو، وما تتطلبه مقتضيات الصناعة من رفع أو نصب أو حذف أو نحو ذلك حتى ضاق به الشاعر ذرعًا، وتوارى عن مجالسه بيد أن النحوي لم يكف عن طلب شعره ونقده، فإن لم يصل إليه شعر الشاعر، وصل إليه هجاؤه، فوجد في هجائه ما يعيبه عليه، غير أننا لا ندري لماذا وقع ذلك بين هذين العلمين المشهورين في عصرهما؟ أهو سلطان النحو وقوانينه المتحكمة في الكلام بغية توجيهه الوجهة الصحيحة المطابقة لمعطيات القياس النحوي الذي يفرض سلطانه على المتكلمين شعراء وناثرين، أم هو موقف شخصي بين الرجلين جاشت به نفساهما كرهًا وبغضًا، فما الشاعر بتارك قوله، ولا النحوي بكافٍ عن تعقبه ونقده؟

إن هذه الخصومة لم تقع في بيت واحد أنشده الشاعر في مجلس النحوي بل في عدة أبيات مما يدل على طول أمد الخصومة بينهما.

وسوف نعرض هنا الأبيات التي وقعت فيها الخصومة بين النحوي والشاعر كما أوردها مسجلوها ثم نرجئ التحليل والتعليق، وموقف النحاة في المبحث الثاني .

الموضع الأول :

نسب ابن جني – في الخصائص – إلى الزيادي عن الأصمعي قال : حضر الفرزدق مجلس ابن أبي إسحاق، فقال له: كيف تنشد هذا البيت[١]:

وَعَينانِ قالَ اللَهُ كونا فَكانَتا ∴ فَعولانِ بِالأَلبابِ ما تَفعَلُ الخَمرُ؟

فقال الفرزدق: كذا ينشد، فقال ابن أبي إسحاق: ما كان عليك لو قلت: فعولين؟ فقال الفرزدق : لو شئت أن تسبح لسبحت، ونهض، فلم يعرف أحد في المجلس مراده بقوله: لو شئت أن تسبح لسبحت أي : لو نصبت لأخبر أن الله خلقهما وأمرهما أن تفصلا ذلك، وإنما أراد أنهما تفعلان بالألباب ما تفعل الخمر[٢].

وذكر الإمام جلال الدين السيوطي كلام ابن جني في الاقتراح وأن طرفي الحوار هما ابن أبي إسحاق والفرزدق[٣].

ونقل ذلك عنهما صاحب «البحث اللغوي عند العرب»: قال: «ولكن جاء جانب من شهرة ابن أبي إسحاق من كثرة تتبعه لزلات الشعراء، وتلمسه الأخطاء لهم، وأشهر من تعرض له الفرزدق – وله معه قصص كثيرة – فمن ذلك أن سأله : كيف تنشد هذا البيت، وذكر البيت السابق[٤].

غير أن العلماء ليسوا مجمعين على طرفي هذه الحكاية فقد وقع اضطراب شديد في النسبة، وإليك بقيتها .

---

(١) البيت لذي الرمة وهو في ديوانه : ٣١٣، وهو من رائية طويلة له (من الطويل) وهو في شرح التسهيل لابن مالك ١٠٩/١، والتذييل والتكميل ٨٥/٢، وتمهيد القواعد لناظر الجيش ٤١٣/١، والخصائص ٣٠٥/٣، والمساعد لابن عقيل ٧٣/١ .

(٢) الخصائص ٣٠٥/٣.

(٣) ينظر : الاقتراح في علم أصول النحو للسيوطي : ٢٨١.

(٤) البحث اللغوي عند العرب . د. أحمد مختار عمر ٩١/١ .

فالعلامة ابن هشام (ت٧٤٩هـ) يورد قصة أخرى في كتابه تخليص الشواهد وتلخيص الفوائد مفادها : « أن الأصمعي حدّث أن عَنْبَسة النحوي قال: قلتُ لذي الرُّمة هلا قُلْتُ فَعولان، أي عينان فعولان، فقال ذو الرمة: لو قلت سبحان الله، الحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر لكان خيرًا لك، إنك أردتَ القَدَر»[١].

وصاحب نثر الدر في المحاضرات ينسب القصة إلى غير ما سبق، ويجعل طرفيها ذا الرمة صاحب البيت، وعيسى بن عمر الثقفي (ت١٤٩هـ) تلميذ ابن أبي إسحاق قال : «وأنشد ذو الرمة، وذكر البيت السابق، فقال له عيسى ابن عمر: «فعولين»، فقال ذو الرمة: لو سلحت كان خيرًا لك، أترى الله أمرهما أن يسحرا؟»[٢].

ومن المصادر ما جعل طرفي القصة إسحاق بن سويد، وذا الرمة الشاعر.

ففي أمالي المرتضى: «عن الأصمعيّ روى عن إسحاق بن سويد إنه قال: أنشدنى ذو الرّمة – البيت – فقلت له: «فعولين» خبر الكون، فقال لى: لو سبّحت ربحت، إنما قلت: «وعينان فعولان» وصفتهما بذلك»[٣].

وقال – أيضًا – :« وقد روى هذا الخبر على خلاف هذا الوجه ؛ قال حدثنى محمد بن القاسم أبو العيناء قال حدّثنا الأصمعىّ قال: لما أنشد ذو الرّمة قوله (البيت) قال له عمرو بن عبيد: ويحك! قلت عظيمًا، فقل: «فعولان بالألباب»، فقال له ذو الرّمة، ما أبالى: أقلت هذا أم سبّحت؟، فلما علم بما ذهب إليه عمرو قال: سبحان الله! لو عنيت ما ظننت كنت جاهلًا»[٤].

---

(١) تخليص الشواهد وتلخيص الفوائد ٢٣٢/١ .

(٢) نثر الدر في المحاضرات ١٧٨/٥.

(٣) أمالي المرتضى ٢٠/١.

(٤) أمالي المرتضى ٢٠/١.

ويحكي صاحب كتاب التنبيهات على أغاليط الرواة عن أبي العباس أحمد ابن يحى ثعلب أن ذا الرمة لما قال : (البيت) قال الأصمعي : فعولين بالألباب، فقال له إسحاق بن سويد: ألا قلت: فعولان؟ فقال : لو شئت سبحت، وكان الأصمعي لهذه العلة يكثر الأخذ على ذي الرمة»[١] .

ويسند ابن عساكر في تاريخ دمشق القصة إلى العدوي الشاعر وذي الرمة قال: « فقال له العدوي الشاعر: قل: فعولين بالألباب فقال له ذو الرمة: لو سبحت كان خيرًا لك، قال الصولي: كان العدوي مثبتًا فأراد الله جعل العينين كذا، وفر ذو الرمة من هذا؛ لينشر مذهبه»[٢].

ومن خلال العرض السابق اتضح الاضطراب في القصة فقد نسبت إلى ستة من النقاد، وهم : عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي، وعنبسة الفيل، وعمرو بن عيسى الثقفي، وعمرو بن عبيد، والعدوي الشاعر، وإسحاق بن سويد.

وفي ضوء هذا ليس لدي ما يقطع بنسبة ذلك إلى ابن أبي إسحاق أو ينفي ذلك عنه، فقد يجوز عقلًا تكرار الحدث في أكثر من مجلس ولأكثر من شخص، على أننا لو جوزنا وقوعها بين الفرزدق وابن أبي إسحاق لكشفت لنا أن ابن أبي إسحاق لم يكن متعقبًا للشاعر في شعره فحسب بل كان يطرح عليه الأسئلة، ويعقد له الاختبارات في شعر غيره، ويطلب منه إنشاده على الوجه الصحيح الذي يصح معه المعنى ويستقيم .

---

(١) التنبيهات على أغاليط الرواة ١٧/١.

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر ١٤٨، ١٤٩ .

الموضع الثاني :

أنشد الفرزدق – مادحًا يزيد بن عبد الملك – : [١]

مُستَقبِلينَ شَمالَ الشَأمِ تَضرِبُنا ∴ بِحاصِبٍ كَنَديفِ القُطنِ مَنثورِ

عَلى عَمائِمِنا يُلقى وَأَرحُلِنا ∴ عَلى زَواحِفَ نُزجي مخهارير

فأنكر عليه عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي، فقال له : ألا قلت :

.... ∴ عَلى زَواحِفَ نُزجي محاسير؟[٢]

وفي الخزانة : فقال له عبد الله بن أبي إسحاق : أسأت، موضعها رفع، وإن رفعت أوفيت، وألح الناس على الفرزدق في ذلك فقبلها فقال :

عَلى عَمائِمِنا يُلقى وَأَرحُلِنا ∴ عَلى زَواحِفَ نُزجيها مَحاسيرِ[٣]

وفي موضع آخر من الخزانة: «ذكر في أخبار الفرزدق أنَّ عبد الله بن أبي إسحاق النحوي قال : إن الفرزدق لحن في قوله :

عَلى زَواحِفَ نُزجي مخهارير

فلما بلغ ذلك الفرزدق قال: أما وجد هذا المنتفخ الخصيين لبيتي مخرجًا في العربية، أما إني لو شئت لقلت :

... ... ∴ عَلى زَواحِفَ نُزجيها مَحاسيرِ

---

(١) البيت موضع الشاهد في الديوان ٢١٣/١، وهو من البسيط. وينظر : الشعر والشعراء ٩٠/١، وخزانة الأدب ٣٥٩/٣، وطبقات الشعراء ١٧/١، والموشح ١٣٢/١، والقبس لليغموري ٢/١.

(٢) الشعر والشعراء ٩٠/١ .

(٣) خزانة الأدب ٢٣٨/١.

ولكني والله لا أقوله، وهجاه[١] .

وفي طبقات فحول الشعراء " « وأخبرني يونس أن ابن أبي إسحاق قال للفرزدق – في مديحه يزيد بن عبد الله – : .... أسأت، إنما هي (ريرُ) وكذلك قياس النحو في هذا الموضع، وقال يونس : والذي قاله حسن جائز، فلما ألحوا على الفرزدق قال :

... ... ∴ عَلى زَواحِفَ نُزجيها مَحاسيرِ

قال : ثم ترك الناس هذا، ورجعوا إلى القول الأول»[٢] .

وفي تهذيب الكمال في أسماء الرجال لأبي الحجاج : « قال يونس: وكَانَ ابْن أَبي إِسْحَاق يكثر الرد عَلَى الفرزدق، والتعنت لَهُ، قال الفرزدق فِي قصيدة يمدح فِيهَا يَزِيد بْن عَبد المَلِك، وذكر البيتين، فقال: فألح عَلَيْهِ ابْن أَبي إِسْحَاق، وعابه بخفض الْبَيْت الأَوَّل، ورفع الثَّانِي فغيره الفرزدق فَقَالَ:

... ... ∴ عَلى زَواحِفَ نُزجيها مَحاسيرِ

وكَانَ ابْن أَبي إِسْحَاق يرد عَلَى الفرزدق كثيرًا»[٣].

ويتضح مما تقدم أن ابن أبي إسحاق هو فارس حلبة النقد، وإن اختلفت العبارات، فجلّ المصادر أسندت إليه نقلًا عن يونس بن حبيب، كما يتضح أن ابن أبي إسحاق لم يشهد إنشاد الشاعر، ولكنه بلغه شعره الذي مدح فيه يزيد ابن عبد الملك، كما أن الشاعر بلغه انتقاد ابن أبي إسحاق لقوله، وأنه كان قادرًا على

(١) الخزانة ٢٣٩/١ .

(٢) طبقات النحويين للزبيدي ٣٢/١ .

(٣) تهذيب الكمال في أسماء الرجال ٣١٧/٤.

تصحيح ما وقع فيه من خطأ مركب نحويًا وعروضيًا بيد أنه آلى على نفسه ألا يستجيب للنحوي.

الموضع الثالث :

قول الفرزدق هاجيًا عبد الله بن أبي إسحاق[١] :

فلو كانَ عبدُ الله مَوْلَى هجوتُه ∴ ولكنّ عبدَ الله مَوْلَى مَوَالِيَا

في طبقات فحول الشعراء : «كان عبد الله يكثر الرد على الفرزدق فهجاه ... وَكَانَ مولى آل الحضرمى، وهم حلفاء بنى عبد شمس بن عبد منَاف والحليف عِنْد الْعَرَب مولى»[٢].

وفي تاريخ العلماء النحويين للتنوخي : «ويروى أنه – أي : ابن أبي إسحاق – لما سمع هذا البيت قال : وهو – في هذا – أيضًا – مخطئ، والصواب: مولى موال»[٣].

وكذلك في نزهة الألباء في طبقات الأدباء :«فقال له ابن أبي إسحاق : ولقد لحنت – أيضًا – في قولك : « مولى مواليا»، وكان ينبغي أن تقول: «مولى موالٍ»[٤] .

(١) البيت من شواهد النحويين وهو من الطويل . ينظر : الكتاب ٣١٣/٣، المقتضب ١٤٣/١، الأصول ٤٤٥/٣، الخصائص ٦/١.

(٢) طبقات فحول الشعراء ١٨/١.

(٣) تاريخ العلماء النحويين للتنوخي ص ١٥٤ .

(٤) نزهة الألباء ٣٩٢/٦ .

وفي وفيات الأعيان : « وكان عبد الله كثيرًا ما يأخذ على الفرزدق الغلط في شعره، فقال الفرزدق: والله لأهجونه ببيت يسير بين أهل الدب ويتمثلون به، فعمل البيت»[١] .

وفي الأعلام للزركلي : « عبد الله بن أبي إسحاق ... وهو الذي يقول الفرزدق في هجائه :

فلو كانَ عبدُ الله مَوْلَى هجوتُه ∴ ولكنّ عبدَ الله مَوْلَى مَوَالِيَا

وسبب هجائه أن عبد الله لحنه في بعض شعره، فلما قال هذا البيت، وعلم به عبد الله، قال : قولوا للفرزدق: لحنت في هذا البيت – أيضًا – وكان عليك أن تقول : « مولى موالٍ»[٢].

ومن هذا اتضح – أيضًا – أن ابن إسحاق لم يجمعه مجلس مع الفرزدق في تخطئة البيت، وإنما حمل إليه، فانشغل عما فيه من خطأ عن الهجاء المقذع الذي يجعل من هذا الإمام عبدًا للعبيد.

الموضع الرابع :

مما أخذه ابن أبي إسحاق على الفرزدق قوله[٣] :

وَعَضُّ زَمانٍ يا اِبنَ مَروانَ لَم يَدَع ∴ مِنَ المالِ إلّا مُسحَتًا أَو مُجَلَّفُ

---

(١) وفيات الأعيان ٣٩٢/٦

(٢) الأعلام ٧١/٤.

(٣) البيت للفرزدق، وهو في ديوانه ٢٦/٢ ومسيار في كتب النحو ينظر في : الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين لأبي البركات ١٥٣/١، وشرح المفصل لابن يعيش ١٠٤/١، وشرح ألفية ابن مالك للشاطبي ٣٩٧/٩، والحلل في شرح أبيات الجمل ٥١/١، وجمهرة أشعار العرب ٨٨٠، وجمهرة اللغة ٣٨٦، وخزانة الأدب ٢٣٧/١.

المسحت : المستأصل، والمجلف : من صيرته جلفًا بذهاب معظمه .

في الخزانة : « عبد الله بن أبي إسحاق، كان يرد على الفرزدق قوله:

وَعَضُّ زَمانٍ يا اِبنَ مَروانَ لَم يَدَع ∴ مِنَ المالِ إِلّا مُسحَتًا أَو مُجَرَّفُ[1]

وفي نزهة الألباء : «أن عبد الله بن أبي إسحاق قال للفرزدق : علام رفعت «أو مجلف» ؟ فقال: على ما يسوؤك وينوؤك، علينا أن نقول، وعليكم أن تتأولوا»[2] .

ويتضح مما سبق من نقدات ابن أبي إسحاق للفرزدق تتمثل في ثلاثة أمور :

أولها : العدول في الإعراب من منصوب إلى مرفوع، أو مرفوع إلى مجرور.

وثانيها : إثبات ما ينبغي حذفه على وفق اقتضى القواعد النحوية.

وثالثها: عطف مرفوع على منصوب .

(١) الخزانة للبغدادي ٢٣٧/١.

(٢) نزهة الألباء ٢٧/١.

المبحث الثاني

موقف العلماء من تعقبات ابن أبي إسحاق

أما البيت الأول، وهو بيت ذي الرمة:

وَعَينانِ قالَ اللَهُ كونا فَكانَتا ∴ فَعولانِ بِالأَلبابِ ما تَفعَلُ الخَمرُ

فقد أجمع من نسب إليهم نقد قول ذي الرمة : «فعولان» على أن الصواب «فعولين» بالنصب على أنهما خبر «كانتا» على أن الله خلقهما وأمرهما، غير أن الشاعر القدري لا يعني هذا وإنما يريد : هما يفعلان بالألباب فعل الخمر، ولعل حكاية الأصمعي عن العلاء بن أسلم توضح ذلك قال : اجتمع ذي الرمة الشاعر (ت ١١٧هـ) مع رؤبة عند أمير البصرة بلال بن أبي بردة، وكان الشاعران قدريين أي: يؤمنان بالقدر، فأمرهما أن يتناظرا في القدر، فأنشد ذو الرمة البيت السابق، وكان يحضر المجلس العدوي الشاعر، فانتقد ذا الرمة، وقال له : بل قل : فعولين بالألباب، فقال له ذو الرمة : لو سبحت كان خيرًا لك، فقال الصولي: كان العدوي مثبتًا، فأراد : أن الله جعل العينين كذا، لكن ذا الرمة فرَّ من هذا لينشر مذهبه القدري[١].

بيد أن الأكثرين نسبوا هذه القصة إلى الفرزدق نقلًا عن الزجاجي، وابن جني، وأن الشاعر أقر في مجلس ابن أبي إسحاق أنه ليس من أهل التأويل؛ إذ قوله السابق يعني: لو أردت أن أخوض فيما لا يعنيني، وأن أسبح في لجة من الحدس والتخمين لفعلت، ويحتمل قوله معنى آخر، وهو : لو أردت أن أسبح الله متعجبًا من جهلك لفعلت معرضًا بابن أبي إسحاق، ومراد الفرزدق في إنشاده الشعر رفعًا: أنهما

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر. ص ٦٦ .

فعولان بالألباب ما تفعل الخمر على الاستئناف، و«كان» تامة أي : وجدتا، هذا وعلى رواية «فعولان» رفعًا فيها تخريجان :

أحدهما : أن «فعولان» خبر لمبتدأ مقدر أي : هما فعولان بالألباب ما تفعل الخمر.

ثانيهما : أن «فعولان» نعت لـ«عينان»، و«كان» في كلا التخريجين تامة، وفي نصب «فعولين» تخريجان كذلك :

أحدهما : أن «فعولين» خبر لـ «كانتا» وهو الظاهر .

وثانيهما : أنه منصوب على القطع أي: أعني فعولين، وكان على هذا الوجه تامة[1].

ويستنتج من ذلك أمرين :

أحدهما : أن البيت الذي امتحن به ابن أبي إسحاق الفرزدق بيت مشهور لذي الرمة من قصيدة مشهورة له، وسؤال ابن أبي إسحاق يدل على شهرة البيت، وقد كان الفرزدق وذو الرمة متعاصرين، وكان كل واحد منهما ينشد شعر الآخر، ويجوز أن يكون وقع ذلك لذي الرمة كذلك على ما حكاه ابن عساكر.

ثانيهما : أن التعبير بالرفع ينسجم مع مذهب ذي الرمة القدري؛ لأن النصب يفرِّغ الكلام من قصد الشاعر الذي يقتضي أنهما مخلوقتان هكذا.

كما تدل القصة – أيضًا – على حرص ابن أبي إسحاق على تعقب الفرزدق، والإيقاع به إن صحت القصة المروية عنه.

وأما البيت الثاني الذي أنشده الفرزدق في مدح يزيد وهو :

---

(1) ينظر : مجالس العلماء للزجاجي ص ٦٦ .

عَلـــى عَمائِمِنـــا يُلقـــى وَأَرحُلِنـــا ∴ عَلـى زَواحِـفَ نُزجـي مخهـا ريـر

والشاعر – هنا – وقع في خطأ لغوي مركب من النحو والعروض، وكان حقه أن يرفع « ريـر» لأنها خبر، والعروضي وهو الإقواء، وأن عبد الله ابن أبي إسحاق أخذ عليه ذلك قائلًا له: إنما هي « ريرُ» بالرفع، وإن رفعت أقويت يعني أنك إن نجوت من الخطأ النحوي سقطت في الخطأ العروضي.

والإقواء: هو اختلاف حركة «المجرى» من الضم إلى الكسر، أو عكس ذلك،، ذلك أن البيت الأول وهو :

مُســتَقبِلينَ شَــمالَ الشَــأمِ تَضــرِبُنا بِحاصِــبٍ كَنَــديفِ القُطــنِ مَنثــورِ

مخفوض القافية «منثور» صفة لـ « حاصب» فإذا رفع « ريـر» على مقتضى القياس النحوي وقع في مخالفة عروضية تخل بالنغم الشعري، ويفقده الإيقاع الموسيقي، والانسجام الصوتي، وليس من بد سوى التغيير بعد أن تعذر عليه المخرج، وعسر على النحوي أن يجد له مخرجًا حين قال : «أما وجد هذا المنتنفخ الحصيين لبيتي مخرجًا في العربية أما إني لو شئت لقلت :

.... ∴ عَلى زَواحِفَ نُزجيها مَحاسيرِ

ولكني – والله – لا أقوله [1].

وقول الفرزدق هذا وتبرمه وضيقه بابن أبي إسحاق، وتمسكه بالخطأ وحلفه على عدم التغيير دليل على المكابرة والعناد، وبادر بهجاء ابن أبي إسحاق معيرًا إياه بأنه لو كان حرًا لهجاه، ولكنه عبد للعبيد، ويبدو أن ابن أبي إسحاق تدبر قول الفرزدق،

(1) ينظر : خزانة الأدب ٢٣٩/١.

وأعاد فيه فكره النحوي فوجد له محملًا صحيحًا على ما حكاه علي بن حمزة : أنه لما هجاه وقال له :

فلو كانَ عبدُ الله مَوْلَى هجوتُه ∴ ولكنّ عبدَ الله مَوْلَى مَوَالِيَا

فبلغ ذلك عبد الله فقال : عذره شرٌّ من ذنبه، والخفض في « رير» جيد، وتأويله: على زواحف رير مخها يزجي[١] .

وقد وقع الإقواء قديمًا في شعر فحل من فحول شعراء الجاهلية (النابغة الذبياني) في موضعين :

أحدهما : في قوله : [٢]

أَمِن آلِ مَيَّةَ رائِحٌ أَو مُغتَدِ ∴ عَجلانَ ذا زادٍ وَغَيرَ مُزَوَّدِ

زَعَمَ البَوارِحُ أَنَّ رِحلَتَنا غَدًا ∴ وَبِذاكَ خَبَّرَنا الغُدافُ الأَسوَدُ

وثانيهما : في قوله [٣]

سَقَطَ النَصيفُ وَلَم تُرِد إِسقاطَهُ ∴ فَتَناوَلَتهُ وَاتَّقَتنا بِاليَدِ

بِمُخَضَّبٍ رَخصٍ كَأَنَّ بَنانَهُ ∴ عَنَمٌ يَكادُ مِنَ اللَطافَةِ يُعقَدِ

فلما قدم المدينة عيب ذلك عليه، فلم يأبه له حتى أسمعوه إياه في غناء فلما غنت الجارية وقالت «الأسودِ» و «يعقدُ» ظهر النشاز واختل الإيقاع فانتبه له فلم

(١) ينظر : التنبيهات على أغاليط الرواة ٧/١.

(٢) البيتان في جمهرة أشعار العرب ٧٦/١، والشعر والشعراء ١٥٦/١، والموشح ٣٨/١، والقوافي للتنوخي ١٩، وهما من الكامل .

(٣) البيتان في الديوان : ٣٠، والشعر والشعراء ١٦٨/١، والموشح ٣٨/١.

يعد فيه بعدها، وقال : قدمت الحجاز، وفي شعري صنعة، ورحلت عنها وأنا أشعر الناس[١] .

وقد كان الشعراء يفخر بعضهم على بعض إذا لم يقع في شعره مثل هذا الخطأ، فقد قال عمر بن لجأ لبعض الشعراء : أنا أشعر منك، قال: وبم ذلك؟ قال: لأني أقول البيت وأخاه، وأنت تقول البيت وابن عمه»[٢].

وتأوّل بعض الباحثين حلف الفرزدق فقال: «ورواية الديوان على هذا الذي أقسم أنه لا يقوله، وقوله: «لا تزجي مخها رير» أجود من «تزجيها محاسير»؛ لأن الفعل مبني للمجهول، وكون «المخ» ريرًا أدل على الضعف من المحاسير»[٣].

وأما قوله :

فلو كانَ عبدُ الله مَوْلَى هجوتُه ∴ ولكنّ عبدَ الله مَوْلَى مَوَالِيَا

فقد تعقبه عبد الله – أيضًا –، وقال : إنما هو مولى موالٍ بحذف الياء والألف وهو هجاء مقذع غير أن ابن أبي إسحاق لا يغضبه هذا بقدر غضبه من خطأ الفرزدق في اللغة، وما يقتضيه قياس النحو عنده في مثل هذا التركيب من حذف الياء والتعويض عنها بالتنوين، فيقال : مولى موالٍ مثل : جوارٍ وغواشٍ ونحوهما .

---

(١) ينظر : الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء للمرزباني ٣٨/١، ٤٤، والعمدة في محاسن الشعر وآدابه لابن رشيق ٢٦٣/١.

(٢) ينظر : الشعر والشعراء لابن قتيبة ١٦٨/١.

(٣) المرشد إلى فهم أشعار العرب ٢٤٥/٤.

وهذا البيت الذي لحن فيه عبد الله الفرزدق حمله سيبويه وجمهور النحويين على الضرورة الشعرية قال سيبويه : « فلما اضطروا إلى ذلك في موضع لا بد لهم فيه من الحركة أخرجوه على الأصل»[١].

وقال المبرد : « فإن احتجاج الشاعر إلى مثل : جوارٍ فحقه إذا حرَّك آخره بالرفع والخفض ألا يجريه، ولكنه يقول : مررت بجواري كما قال الفرزدق:

فلو كانَ عبدُ الله مَوْلَى هجوتُه ∴ ولكنّ عبدَ الله مَوْلَى مَوَالِيَا

فإنما أجراه للضرورة مجرى ما لا علة فيه، فإن احتاج إلى صرف ما لا ينصرف مع هذه الحركة فيصير بمنزلة غيره مما لا علة فيه، ألا ترى قوله : «مولى مواليا» قد جعله بمنزلة الصحيح؟»[٢].

وقال : « ويكفيك من هذا كله – ما ذكرت لك – من أن الشاعر إذا اضطر ردّ الأشياء إلى أصولها»[٣].

والبيت من (الطويل) مقبوض العروض والضرب، ولو قال : مولى موالٍ بالحذف والتنوين لصار الضرب محذوفًا، وهو شكل جائز في بحر الطويل .

وقال المرزباني: «وقد يرد الشاعر الإعراب إلى أصله في مثل «قاض» فيقول : وقاضي غير مهموز، وكذلك جواري وغواني»[٤] .

---

(١) الكتاب ٣/٣١٣ .

(٢) المقتضب ١/١٤٣ .

(٣) المصدر السابق ١/١٤٤ .

(٤) الموشح للمرزباني ١/١٢٦.

وقال القزاز القيرواني – فيما يجوز للشاعر من ضرورة – : « وكان الوجه أن يقول : مولى موال، ولكن ردّه إلى الأصل، وأجراه مجرى السالم، فكان بمنزلة ما لا ينصرف، ففتحه في الجر ، وزاد الألف للإطلاق»[١].

ونص على ذلك ابن عصفور في – ضرائر الشعر – قال : »ومنها: إثبات حرف العلة في الموضع الذي يجب حذفه فيه في سعة الكلام إجراء للمعتل مجرى الصحيح»[٢] .

وقد ذكر البغدادي في الخزانة أن ذلك لغة قال : «على أن بعض العرب يجري نحو : جوار بالفتحة، فيقول: مررت بجواري كما قال الفرزدق مولى مواليا بإضافة «موالي» إلى «مولى» والألف للإطلاق، وجمهور العرب يقول : مررت بجوار، ومولى موالٍ بحذف الياء والتنوين في الجر والرفع»[٣].

وعلى غرار قول الفرزدق أنشد سيبويه لبعض رجاز العرب [٤]:

قد عَجِبتُ منيِّ ومِن يُعَيْلِيَا

لمَّا رأتْنِي خَلَقًا مُقْلَوْلِيَا

على إجراء يعيليا» على الأصل ضرورة .

قال سيبويه : «وسألناه عن بيت أنشدناه يونس :

قد عَجِبتُ منيِّ ومِن يُعَيْلِيَا ∴ لمَّا رأتْنِي خَلَقًا مُقْلَوْلِيَا

---

(١) ما يجوز للشاعر من ضرورة ص ١٩٩.

(٢) ضرائر الشعر لابن عصفور ص ٤٢.

(٣) خزانة الأدب ٤٣٥/١.

(٤) بلا نسبة في الكتاب ٣٥١/٣، والمقتضب ١٤٢/١، والأصول ٤٤٤/٣، والخصائص لابن جني ٦/١، شرح السيرافي لكتاب سيبويه ١٣٦/٤.

فقال : هذا بمنزلة قوله (ولكن عبد الله مولى مواليا)، وكما قال : (سماء الإله فوق سبع سمائيا) فجاء به على الأصل »[١] .

فبعضهم يحمله على الضرورة، وبعضهم يجعله لغة، وبعضهم يجعله من باب إجراء المعتل مجرى الصحيح .

ومن ذلك ما ذكر سيبويه للشاعر الهذلي[٢]:

أَبيتُ عَلى مَعارِيَ فاخِراتٍ ∴ بِهِنَّ مُلَوَّبٌ كَدَمِ العِباطِ

والأصل : معارٍ إلا أنه اضطر فأجراه مجرى الصحيح قال ابن السراج: «لو أسكن فقال: معارٍ فاخرات لم ينكسر الشعر، ولكن فرَّ من الزحاف»[٣] .

وذلك أن البيت من (الوافر) فلو قال : «معارفًا» لصارت (مفاعيلن) في الحشو بسكون الخامس، وهو ما يسميه أهل العروض بالعصب، وهو نوع من الزحاف الجائز غير أن الشاعر حرص على صحة التفعيلة، والفرار من أن يزاحف .

ومثل ذلك – أيضًا – قول أمية بن أبي الصلت[٤]:

لَهُ ما رَأَيت عَينُ البَصيرِ وَفوقَهُ ∴ سَماءُ الإِلَهِ فَوقَ سَبعِ سَمائِيا

وفي هذه البيت ثلاث ضرائر[٥]:

---

(١) الكتاب ٣١٥/٣.

(٢) البيت من شواهد الكتاب ٥٨/٢، وضرائر الشعر لابن عصفور ٤٤/١، والخزانة ٢٤٤/١، وأشعار الشعراء الستة الجاهليين ١٠٠/١، والتمام في تفسير أشعار هذيل ٢١٥/١.

(٣) الأصول لابن السراج ٤٤٤/٣.

(٤) ومن شواهد سيبويه ٣١٥/٣، والمقتضب ١٤٤/١، والأصول ٢٤٠/٣ من الطويل .

(٥) ينظر : ضرائر الشعر لابن عصفور ٤٤/١.

إحداها : أن «سماءة» قياس جمعها (سمايا) مثل : خطايا، فجمعها الشاعر على (سمائي) كالصحيح نحو : سحابة وسحائب.

ثانيها : أن الأصل : سبع سماءٍ مثل: جوارٍ وغواشٍ لكنه أجراها مُجرى الصحيح.

ثالثها : أنه جمع «سماءة » على « سمائي»، وكان حقها أن تجمع على «سماء» بحذف الياء كشمامة وشمام؛ لأنها من جنس المخلوقات كتمرة، وتمر.

وفي الخزانة للبغدادي : «قد خرج الشاعر – في هذا البيت – على ما عليه الاستعمال من ثلاثة أوجه :

أحدها : أنه جمع «سماء» على «فعائل» فشبهها بـ« شمال وشمائل» والجمع المعروف يها إنما هو « سَمِي » على «فعول»، ونظيره : عناق وعنوق، ألا ترى أن «سماء» مؤنثة كما أن «عناق» كذلك؟ .

ثانيها : أنه أقر الهمزة العارضة في الجمع مع أن اللام معتلة، وهذا غير معروف، ألا ترى أن ما تعرض الهمزة في جمعه، ولامه واو، أو ياء، أو همزة، فالهمزة العارضة فيه مغيَّرة مبدلة نحو : خطيئة وخطايا، ومطية ومطايا، ولم يقولوا: خطائئ، ولا مطائي في الفصيح .

ثالثها : أنه أجرى الياء في «سمائي» مجرى الباء في «ضوارب» ففتحها في موضع الجر، والمعروف عندهم أن تقول: هؤلاء جوار، ومررت بجوار فتحذف الياء، وتدخل التنوين.. ألا ترى أن الشاعر لما أضطر إليه جاء به على أصله فقال: سمائيا .

هذا ووجه الضرورة في البيت أنه من (الطويل) وعروضه وضربه مقبوضان(مفاعلن) فإذا قال : (سمائيا) فالضرب مقبوض، وأذا قال : (سماءٍ) صار

الضرب محذوفًا (فعولن أو مفاعي)، وهو الشكل الثالث من أشكال الضرب الذي يرد عليه الطويل ، فالشاعر فرَّ من شكل جائز إلى شكل آخر جائز . أيضًا- وعند استعراض القصيدة التي ينتمي إليها هذا البيت ألفيت أن البيت الذي قبل هذا البيت، وهو :

وَإِن كانَ شَيءٌ خَالِدًا وَمُعَمِرًا ∴ تَأَمَل تَجِد مِن فَوقِهِ اللَهَ باقِيا

وكذلك البيت الذي بعد البيت المذكور كلاهما مقبوض الضرب فلو جاء هذا البيت محذوف الضرب وما قبله مقبوضًا وما بعده كذلك حدث خلل في الإيقاع وانفرط عقد موسيقا القصيدة .

ولهذا علق أبو محمد السيرافي على البيت المذكور قائلًا : «وفي الكتاب وفي جميع الكتب التي يستشهد فيها بهذا البيت (سماء الإله فوق سبع سمائيا)، وفي شعره (ست سمائيا) والذي في شعره ظاهر؛ لأنه يريد بها السماء السابعة وتحتها ست سموات، ورواية الكتاب أنه يريد بسماء الإله: العرش، والسموات السبع تحته»[1].

وبهذا تبين أن عبد الله أراد من الفرزدق استعمال الأشهر الأفصح، وإن كان استعماله جائزًا من باب أنه لغة قليلة، أو ضرورة شعرية، أو إجراء المعتل مجرى الصحيح ، وأما قوله :

وَعَضُّ زَمانٍ يا اِبنَ مَروانَ لَم يَدَع ∴ مِنَ المالِ إِلّا مُسحَتًا أَو مُجَرَّفُ

فقد حكى ابن سلام – في طبقات فحول الشعراء – أن أبا عمرو بن العلاء كان لا يعرف وجهًا لرفع «أو مجلف» ونسب كذلك إلى يونس النحوي أنه كان لا يعرف

(١) شرح أبيات سيبويه لابن السيرافي ٢/٢٦٧ .

وجه ذلك أيضًا فقال : لعل الفرزدق قالها على النصب، فرويت عنه بالرفع، وأنشدنيها رؤبة على الرفع»[١].

بيد أن رواية كمال الدين الأنباري – في نزهة الألباء – تخالف مما نُسب إلى أبي عمرو بن العلاء، وتنص على أن أبا عمرو كان يعرف وجه الرفع، ويصوب قول الشاعر، قال : «قال أبو عمرو : فقلت للفرزدق : أصبت، وهو جائز على المعنى أي: لم يبق سواه»[٢].

وهذا البيت مما يضرب به المثل في الخصومة والجدال، وإطالة ذيل الكلام في التعليق عليه حتى قال أبو حيان – في التذييل – : «ويرتفع «أو مجلف» على إضمار فعل تقديره: أو بقى مجلف على أحسن التأويلات الخمسة في رفع «مجلف»[٣].

وقال ابن السيد البطليوسي – في الحلل –: «فأما رواية «مجلف» ففيها أربعة أقوال[٤]:

أحدها : أن يكون «مجلف» مرفوعًا بالفعل مضمرًا ، دل عليه «لم يدع» كأنه قال : أو بقي مجلف، وهو ما نسب إلى أبي عمرو بن العلاء .

ثانيها : وهو قول الفراء أن «مجلف» مبتدأ مرفوع، وخبره محذوف على أنه قال: أو مجلف كذلك .

---

(١) طبقات فحول الشعراء ٢١/١.

(٢) نزهة الألباء ٢٧/١.

(٣) التذييل والتكميل ٢١٤/٦ .

(٤) الحلل في إصلاح الخلل ١٦٠/٢.

والفراء أورد البيت، وحكى فيه قصة الفرزدق مع عبد الله بن أبي إسحاق دون أن يتعرض لإعرابه في معاني القرآن ، وإنما أورده تفسيرًا لقوله تعالى: « فيسحتكم»[١] بمعنى : يستأصلكم[٢].

ثالثها : وهو رأي الكسائي حكاه هشام عنه أنه عطف على الضمير في «مسحت» أنه اسم فاعل .

رابعها : وهو منسوب إلى أبي علي الفارسي أنه معطوف على «العض» في أول البيت، وهو مصدر جاء على صيغة المفعول، أي : معضوض – كما قال عز وجل – : {وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ} [٣] أي كل تمزيق، كأنه قال: عض زمان أو تجليف .

هذا وما نسب إلى الفراء من أنه مبتدأ وخبر هو قول أبي جعفر النحاس في إعراب القرآن قال : كذلك على الابتداء والخبر كما قال الفرزدق،

وذكر البيت[٤].

وأومأ إلى هذا الإعراب ابن جني في المحتسب حيث قال : «إلا مسحتًا أو مجلف فيمن قال : أراد : أو مجلف كذلك »[٥].

ولعل لأبي علي رأيًا آخر فيه ذكره في كتاب الشعر حيث قال : « قد أنشد: (إلاّ مسحتًا)، و(مسحتٌ)، نصبًا ورفعًا، وحمل مجلَّفٌ بعده على المعنى، لأنَّ معنى لم

(١) من الآية ٦١ سورة طه .
(٢) ينظر : معاني القرآن ١٨٢/٢.
(٣) من الآية ١٩ سورة سبأ .
(٤) ينظر: إعراب القرآن لأبي جعفر ١٠٤/٢.
(٥) المحتسب ١٨٠/١.

يدع من المال إلاّ مسحتًا تقديره: لم يبقَ من المالِ إلاّ مسحتٌ، فحمل « مجلَّفٌ» على ذلك، وذكر للبيت نظائر»[١].

وقد نص البغدادي في خزانة الأدب إلى أن الرأي الأول لأبي علي ذكره في التذكرة قال : « وأما الثالث فهو لأبي علي في التذكرة قال: مجلف معطوف على (عض) كأنه قال : عضٌّ أو تجليفٌ» [٢] .

أما ابن قتيبة فقد قال : « فرفع آخر البيت ضرورة، وأتعب أهل الإعراب فى طلب العلّة، فقالوا وأكثروا، ولم يأتوا فيه بشىء يرضى، ومن ذا يخفى عليه من أهل النظر أنّ كلّ ما أتوا به من العلل احتيال وتمويه؟! وقد سأل بعضهم الفرزدق عن رفعه إيّاه فشتمه – يعني ابن أبي إسحاق – وقال: علىّ أن أقول وعليكم أن تحتجّوا!»[٣].

وعده بعض الأدباء من الأبيات العويصة الإعراب البعيدة في الإغراب حتى سجع فيه بعضهم فجاء في التذكرة الحمدونية : «وسلكوا في معاني القريض كل طويل وعريض، حتى أخذ السائل منهم بالمخنق ببيت الفرزدق :

وَعَضُّ زَمانٍ يا اِبنَ مَروانَ لَم يَدَع ∴ مِنَ المالِ إِلّا مُسحَتًا أَو مُجَرَّفُ

فكثر فيه الجدل، وطال فيه المقال، وما منهم أحد أجاد القياس، وأصاب القرطاس، ووقع على الطريق، وأتى بالتحقيق»[٤].

---

(١) كتاب الشعر ٥٣٨/١.

(٢) خزانة الأدب ١٤٧/٥.

(٣) الشعر والشعراء ٨٩/١.

(٤) التذكرة الحمدونية ٤٠٩/١ .

هذا وفي هذا البيت روايات كثيرة : فقد أورده المرزوقي – في أماليه – بالرفع : « إلا مسحت أو مجلف» في ضمن قصيدته التي مطلعها[١]:

عَزَفتَ بِأَعشاشٍ وَما كِدتَ تَعزِفُ ∴ وَأَنكَرتَ مِن حَدراءَ ما كُنتَ تَعرِفُ

إلى أن قال :

إِلَيكَ أَميرَ المُؤمِنينَ رَمَت بِنا ∴ هُمومُ المُنى وَالهَوجَلُ المُتَعَسَّفُ

وَعَضُّ زَمانٍ يا اِبنَ مَروانَ لَم يَدَع ∴ مِنَ المالِ إِلّا مُسحَتًا أَو مُجَرَّفُ

وَمائِرَةِ الأَعضادِ صُهبٍ كَأَنَّما ∴ عَلَيها مِنَ الأَينِ الجِسادُ المُدَوَّفُ

وهذه الرواية لا إشكال فيها .

وفي خزانة الأدب للبغدادي : « وفيه روايات أخرى : إحداها – إلا مسحتٌ أو مجلف برفعهما، قال علي بن حمزة في كتاب التنبيهات : رواه أبو جعفر بن حبيب في كتاب النقائض برفع الاسمين، قال ابن الأعرابي والفراء : حروف الاستثناء تجئ بمعنى قليل من كثير، فجعل «إلا» معلقة بأن يكون، فاضمرها ونواها، ورفع «مسحت» على هذا المعنى، أراد : إلا أن يكون مسحت أو مجلف، فرفعه بـ «يكون» المضمرة »[٢].

وقال القيرواني – في مسائل الانتقاد – : « ومن عيوب الشعر الذي لا تسعه فسحة العربية قول الفرزدق :

وَعَضُّ زَمانٍ يا اِبنَ مَروانَ لَم يَدَع ∴ مِنَ المالِ إِلّا مُسحَتًا أَو مُجَرَّفُ

---

(١) ينظر : أمالي المرزوقي ٧٦/١.

(٢) خزانة الأدب ١٤٨/٥ – ١٤٩.

فرفع، وحقه النصب، وقد تحيل له بعض النحويين بكلام كالضريع لا يسمن ولا يغني من جوع»[١].

وقال ابن السيد: « وفي هذا البيت ثلاث روايات كلها اضطرار: [٢]

أحدها : فتح الياء والدال من (يَدَع) ونصب (مسحت) .

وثانيها : فتح الياء من (يَدِع) وكسر الدال، ورفع (مسحت) .

وثالثها : ضم الياء وفتح الدال (يُدَع)، ورفع (مسحت) .

فأما الأولى فقد سبق تخريجها .

وأما الثانية : فإنه جعله من (وَدَع) في بيته فهو وادع إذا بقي، ورفع (المسحت) به، وفي الكلام حذف، كأنه قال : من أجله أو من سببه.

وأما الثالثة : فإن (مسحت) رفع على أنه نائب فاعل، وكان يجب أن يقول : لم يُودَع، ولكنه حذف الواو كما حذف من (يدع) .

وزعم أبو زياد في نوادره أن أبا فراس أقوى حين نصب مسحتًا ورفع (مجلف) وهو قول غريب.

قال علي بن حمزة البصري : «وقد خالف سائر الرواة في هذا القول؛ لأن الرواة أجمعين على رواية (مسحت) بالرفع والنصب، فمن رفع لم يحتج إلى احتجاج لمجلف، ومن نصب احتج، وأوضح وجهه، واستشهد له، ولم يقل أحد منهم أنه أقوى»[٣] .

---

(١) الحلل في شرح أبيات الجمل ٥١/١.

(٢) المصدر السابق :٥١/١

(٣) التنبيهات على أغاليط الرواة ٦/١.

المبحث الثالث

دلالة التعقيبات ومغزاها

من خلال دراسة تعقيبات ابن أبي إسحاق على الفرزدق الشاعر يمكن الوقوف على دلالات هذه التعقيبات ومغزاها فيما يلي :

الدلالة على سماحة الإسلام :

ليست العربية إرثًا للعرب وحدهم، يرثها الأبناء عن الآباء، فقد صارت بعد الإسلام لسانًا لكل متكلم بها يُحسن نظامها ويفقه قواعدها، وقد جاء في بعض المصادر الحديثية أن الناس ذكروا بلالًا الحبشي، وسلمان الفارسي، وصهيبًا الرومي، بالتعريض بهم في حديثهم بالعربية، فخرج رسول الله -ﷺ- وقال : «أيها الناس، إن ربكم واحد، وإن أباكم أب واحد، وليست العربية بأحدكم من أب أو أم، وإنما هي لسانٌ، فمن تكلم بالعربية فهو عربي»[1].

أي : عربي اللسان وإن كان أصله غير عربي؛ إذ العربية هوية وممارسة وتفقه واكتساب بعد أن كانت ملكة وسليقة للعرب.

وفي تعقيبات ابن أبي إسحاق الحضرمي المستعرب النحوية على الفرزدق العربي التميمي، وهو المعدود في فحول شعراء العرب والإسلام دليل على عظمة الإسلام الذي أزال الفوارق الجنسية بين أتباعه، وجعل قيمة المرء الحقيقية ليست بما ينتمي إليه من نسب وضيع أو شريف، وإنما بما يحسنه من العمل الصالح والعلم والتقوى.

وقوع اللحن في عصور الاحتجاج :

لاشك أن المدة الزمنية التي وقعت فيها هذه التعقبات اللغوية من قبل ابن أبي إسحاق للفرزدق، تندرج في ضمن الحقبة التي حددها العلماء للاحتجاج بكلام

(١) ينظر : في مجموع مصنفات أبي الحسن الحمامي وأجزاء حديثية أخرى ١/١٦٠.

العرب، فالنحوي والشاعر كلاهما كانا في هذه الحقبة، وفيها انتقد ابن أبي إسحاق الفرزدق الشاعر العربي الذي ينتمي إلى قبيلة بني تميم، وهي قبيلة لها شأن كبير عند علماء اللغة وجماعها .

ونص الفرزدق الشعري يعدُّ في النصوص النادرة التي تعرضت للطعن والنقد لغلبة الفصاحة على الشاعر حتى قيل فيه: «لولا الفرزدق لضاع ثلث اللغة» فشعره وحده فيه ثلث لغة العرب، ووقوع مثل هذه الأخطاء النحوية التي أخذها عليه ابن أبي إسحاق تدل على أنَّ العربي لم يكن معصومًا من بعض الخطأ، إذ قد يهجم عليه طبعه، وتخونه ملكته فيقع في مخالفات في الاستعمال اللغوي، وهذا لم يقع للفرزدق وحده فكتب التاريخ والطبقات تذكر روايات تتحدث عن اللحن واللاحنين، وما كانت ابنة أبي الأسود الدؤلي المعزو إليه وضع النحو العربي إلا عربية، فقد جاء أن ابنته قالت يومًا – يا أبت ما أحسن السماء؟ فقال : أي بُنية نجومها، فقالت : إني لم أرد أي شيء منها حسن إنما تعجبت من حسنها، قال: إذن قولي : ما أحسنَ السماءَ! وقيل : بل قالت له في يوم قائظ : ما أشدُّ الحر؟ فقال : إذا كانت الصعقاء من فوقك والرمضاء من تحتك، فقالت : إنما أردت : أن الحر شديد، قال : قولي: ما أشدَّ الحرَّ، إلى غير ذلك من وقائع[1] وأحداث معروفة .

وقبل ابن أبي إسحاق تعرض عنبسة الفيل لشعر الفرزدق بالانتقاد فهجاه الشاعر بقوله :

لقد كان في معدان والفيل زاجر ∴ لعنبسة الراوي عليّ القصائدا

(1) ينظر : أخبار النحويين للسيرافي ١٥/١، وتاريخ العلماء النحويين للتنوخي ١٦٨/١، وتاريخ دمشق لابن عساكر ١٩٠/٢٥، ونزهة الألباء ٢١/١، ووفيات الأعيان ٥٣٧/٢، وإنباه الرواة ٥١/١.

وعندما سأل أبو عيينة بن المهلب عنبسة عن هذا البيت الفرزدقي قال له: إنما قال :

لقد كان في معدان وللؤم زاجر ∴ ....

فقال له : وأبيك إن شيئًا فررت منه إلى اللؤم لعظيم[١] .

قال التنوخي : «إنه كان يعيب شعره»[٢]، أي : شعر الفرزدق .

ومما يشهد لابن أبي إسحاق الحضرمي سلامة قصده، وحسن نيته وغيرته على العربية دفاعه عن الفرزدق ضد عنبسة الفيل هذا في بيت أخذه على الفرزدق، وهو قوله :

تريك نجوم الليل والشمس حية ∴ زحام بنات الحارث بن عُباد

روى الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء قال : كنا عند بلال بن أبي بردة، فأنشد الفرزدق :

تريك نجوم الليل والشمس حية ∴ زحام بنات الحارث بن عُباد

فقال عنبسة بن معدان: الزحام مذكر، فقال الفرزدق أغرب، قال عبد الله – يعني ابن أبي إسحاق – : فالزحام له وجهان: أن يكون مصدرًا مثل : الطعان والقتال من قولهم : زاحمته زحامًا لهذا هو مذكر – كما قال عنبسة – أو يكون جمعًا للزحمة يراد بها الجماعة المزدحمة فهذا مؤنث ؛ لأن الزحام هو المزاحمة كما أن الطعان هو المطاعنة، وإن كان قول عنبسة أقوى وأعرف في الكلام»[٣].

---

(١) ينظر : أخبار النحويين للسيرافي ٢٠/١، ونزهة الألباء ٢٣/١ .

(٢) تاريخ العلماء النحويين للتنوخي ١٦٢/١.

(٣) ينظر : الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء ١٣٩/١ .

وقد مر أن النابغة الذبياني وقع في الإقواء، وهو عيب عروضي ونحوي أيضًا، وهو معدود في فحول شعراء الجاهلية .

ضلوع الأعاجم في النحو :

في العصر الأموي والعباسي كان أكثر من برع في العلوم بصفة عامة، وعلوم العربية بصفة خاصة الموالي، فكانوا حملة العلم والثقافة والفكر، فأسهموا إسهامًا كبيرًا في تأسيس العلوم، وبناء الثقافة العربية، وقد كان معظمهم من بلاد فارس، وكانت بلادًا ذات حضارة وثقافة وعلم، فاشتغلوا بعلوم العربية، وحصلوها بالصنعة والاكتساب حتى برعوا فيها، وامتازوا على كثير من العرب حتى كانوا يصححون للعربي لغته، ويقومون لسانه وقلمه، فقد حدثوا أن عثمان البتي العربي وقد كان رجلًا عربيًا فصيحًا، وكان الناس لفصاحته يطلقون عليه (عثمان الفصيح)، فسمعه يومًا ابن أبي إسحاق، وهو يقول :

كورهاء مشنيٌّ إليها حليلها

فقال عبد الله : لقد أخطأ عربيكم إنما هو مثْنوء لا مشنىّ [1]

لقد كان النحو من العلوم التي أشاد الموالي صرحها، ورفعوا بنيانها ووضعوا فيها الكتب، واخترعوا الأقيسة والعلل، وقد كان ابن أبي إسحاق من أوائل المشتغلين بالنحو والمؤسسيين له حتى قيل فيه : «أول من بعج النحو وحدَّ القياس والعلل»، ووصفه يونس بن حبيب النحوي بأنه الغاية في النحو على ما ذكر في التمهيد ما لا نريد هنا تكراره .

(1) ينظر : إنباه الرواة ٣٤٤/٢ .

فالذين توافروا على دراسة النحو ووضع أصوله وضوابطه أكثرهم موالٍ من أمثال: يونس بن حبيب، وسيبويه، وعيسى بن عمر، والكسائي، وغيرهم كثير أثروا الحياة العقلية العربية واستعاضوا بالنحو منطق العرب عن منطق أرسطو.

سلطان النحو والنحاة:

لقد فرض النحاة سلطانهم على المتكلمين واخضعوا كلامهم للنقد والتقويم، واحتكموا إلى مقاييس النحو وقوانينه، ومارسوا النقد النحوي من خلال إصدارهم أحكامًا بالتخطئة والصواب، مما جعل الشعراء سلاطين القريض يضيقون ذرعًا بالنحو والنحاة، ويبسطون ألسنتهم فيهم سبًّا وهجاء، وكأن عمار الكلبي يصف الضيق والتبرم من قبل الشعراء تجاه النحو والنحاة الذين أتقنوا النحو عن طريق التحصيل والاكتساب من المستعربين ، فقال [1] :

ماذا لقينا من المستعربين ومن ∴ قياس نحوهم هذا الذي ابتدعوا

إن قلت قافية بكرًا يكون بها ∴ بيت خلاف الذي قاسوه أو ذرعوا

قالوا لحنت وهذا ليس منتصبًا ∴ وذاك خفض وهذا ليس يرتفع

كم بين قوم قد احتالوا لمنطقهم ∴ وبين قوم على إعرابهم طبعوا

ما كان قولي مشروحًا لكم فخذوا ∴ ما تعرفون وما لم تعرفوا فدعوا

لأن أرضي أرض لا تشب بها ∴ نار المجوس ولا تبنى بها البيع

إن هذه الأبيات التي عَرض فيها بالنحويين تصدق على ابن أبي إسحاق الحضرمي النحوي المستعرب، والفرزدق الشاعر العربي التميمي الذي رضع

(1) ينظر : الخصائص لابن جني ١/٢٤٠.

الفصاحة من البادية صغيرًا، وشبَّ عليها كبيرًا، فهو ينطق على وفق سليقته العربية ، وسجيته البدوية التي لم تتلوث بعجمة النصارى أو المجوس أو غيرهم، وهو مع ذلك لم يسلم، بل وقع في مرمى سهام النحوي المستعرب الذي قاده قياسه النحوي إلى نقده، والفرزدق شاعر فيه الأنفة العربية، وحدتها مع شراسة في الطبع حتى قيل: إنما سمي بالفرزدق لتجهم وجهه وعبوسه[1] ، فقد أنف من تخطئة النحوي إياه فأطلق فيه لسانه وهجاه شعرًا ونثرًا .

فمن الشعر البيت الذي سبق ذكره :

فلو كانَ عبدُ الله مَوْلَى هجوتُه ∴ ولكنّ عبدَ الله مَوْلَى مَوَالِيَا

ومن النثر قوله : « أما وجد هذا المنتفخ الخصيين لبيتي مخرجًا في العربية»[2].

وتمسك بخطئه عنادًا واستكبارًا ، وآلى على نفسه ألا يعدل عنه، وطلب من ابن أبي إسحاق أن يبحث في عربيته عن مخرج صحيح يحمل عليه ما يعدُّه خطأ في شعره يخلصه من ذلك .

لقد وقع تنافر نفسي، وعداء شخصي بين الرجلين، وإن كان من جانب الفرزدق أشد ضراوة وأنكى لما عرف من أخلاقه الجفوة والغلظة، ومن سيماه العبوس والتجهم، ومع هجاء الشاعر وضيقه وسبّه بأقذع الهجاء يصوب له العالم كلامه، ولا يأبه بقوله، وكأنه أنف من أن يُسب بكلام عربي غير فصيح، إنه يجعل عرضه

(١) ينظر : أدب الكاتب ٧٨/١ .

(٢) ينظر : خزانة الأدب ٢٣٩/١ .

دون عرض العربية، وتلك أخلاق السادة العلماء القراء، وقد سبق قبل أنه التمس لبيته الذي يقول فيه :

عَلى عَمائِمِنا يُلقى وَأَرحُلِنا ∴ عَلى زَواحِفَ نُزجي مخها رير

مخرجًا، وقال : « والخفض في (رير) جيد، وتقديره: على زواحف رير مخها يزجى»[1] غير أن الشاعر عاجله بالهجاء والسب والقذف، كما دافع عنه ضد عنبسة الفيل، وحمل بيته على ما يصحح نظمه مما يدل على حسن طويته، وحرصه على تطبيق النظام النحوي في الكلام العربي .

أوليّة النقد النحوي العلمي :

لا شك في أن هذه التعقبات التي صدرت من ابن أبي إسحاق الحضرمي تجعله أول ناقد نحوي يسجل ملاحظاته النقدية على الشعر فيما يخص النظام النحوي، وهو نقد علمي مُعَلل يدل على معرفة بالقوانين النحوية، والضوابط النظامية للكلام العربي.

وأركان النقد الثلاثة متوفرة فيه، وهي الناقد، والنَّص المنقود، وآلية النقد، ومع أن هذه الملاحظات النحوية تدل على سعة علمه، وإلمامه بالقاعدة النحوية، فلم نعرف لهذا الناقد النحوي من علم بالنحو سوى شذرات مبثوثة في مظان نحوية مختلفة لا تكون له مذهبًا، ولا تعطي صورة متكاملة عن علمه، فسيبويه يذكر له بعض الأقوال التي لا تتجاوز عدد أصابع اليدين، وما نقل عنه فيما نحن فيه من آراء نقدية نحوية تخص التابع النحوي، والحذف النحوي واختلاف حركة الإعراب .

(1) ينظر : التنبيهات على أغاليط الرواة ٧/١ .

لقد كان ابن أبي إسحاق جريئًا في نقده انطلاقًا من إيمانه أنه لا أحد أكبر على الخطأ، ولا أحوز للعصمة في حين أن غيره كان يتحرج أن ينسب الغلط إلى العرب في كلامها .

إن ردّ الشاعر العصبي وهجاءه الشديد لم يغيرا من الواقع شيئًا، فثمة مخالفة وقعت في عدة أبيات من شعر الفرزدق لا تقرها قواعد النحو، ولا يستسيغها نظام العربية النحوي، ولا يجري على سنن العرب في كلامها الفصيح، وما عليه لغة القرآن الكريم .

ولا شك أن ما وقع من أخطاء في شعر الفرزدق سببه ما نقله ابن جني عن شيخه أبي علي الفارسي: «إنما دخل هذا النحو في كلامهم؛ لأنهم ليست لهم أصول يراجعونها، ولا قوانين يعتصمون بها، إنما تهجم بهم طباعهم على ما ينطقون به، فربما استهواهم الشيء فزاغوا عن القصد »[1].

هذا ولا تجهل مكانة الفرزدق، ودور شعره في اللغة والنحو، فقد استشهد شيخ النحاة سيبويه بنحو خمسين بيتًا من شعره على قواعد عديدة، بيد أن بعضًا من أبياته تفتقر إلى تأويل نحوي، يجعلها في المسار اللغوي والنحوي الصحيح، فرحم الله هذين العلمين، وغفر لهما، وأقول فيهما ما قال السخاوي:

لم يكن فِي عصر عَمْرو مثله ∴ وَكَذَا الْكِنْدِيّ فِي آخر عصر

فهما زيد وَعَمْرو إِنَّمَا ∴ بنى النَّحْو على زيد وَعَمْرو

(١) الخصائص ٣/٢٨٤.

الخاتمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد :

فمن خلال تعقبات بان أبي إسحاق للفرزدق يمكن أن أذكر جملة من مستخلصات البحث :

أولا : أن النقد النحو البدائي ظهر في عصر الرسول الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقد أخطأ رجل في حضرته فقال : «ارشدوا أخاكم فقد ضل» فعد زيغ الرجل في كلامه ، وعدم جريه على سنن كلام العرب ضلالًا، وطلب من الصحابة تقويمه، وإن كانت الحادثة لم تفصح عن نوع الخطأ الذي وقع فيه الرجل، كما مارسه عمر بن الخطاب، وأمر بضرب صاحبه، وقطع عطائه، وذم قومًا عليه، فهذا إدراك منه بمخالفة في اللغة وقعت ، وسنن في الكلام تغيرت .

ويمضي الأمر إلى من عزى إليه وضع النحو العربي أبي الأسود الدؤلي فيجد في ابنته التي رضعت لبان العربية اعوجاجًا في التعبير وخطأ ، فيصوب لها خطأها، ويسير تلامذته على سننه يحيى بن يعمر الذي ينتقد الحجاج وهو أحد الأربعة المعدودين في العرب في الفصاحة حين يراه قد رفع «خبر» كان ، وإلى هنا كان النقد يسيرًا يعالج الخطأ بأن يذكر الصواب فيه دون تعليلات أو فلسفات أو ذكر مصطلحات نحوية حتى عنبسة بن معدان الفيل الذي انتقده الفرزدق في قوله :

تريك نجوم الليل والشمس حية ∴ زحام بنات الحارث بن عُباد

فقد وقف عند تأنيث الفعل الذي ينبغي تذكيره؛ لإسناده لمذكر، وهو الزحام فاكتفى بأن ردَّ على الشاعر بقوله : قل « يريك» بلا تعليق أو توجيه .

ويبدأ مظهر النقد النحوي الحقيقي على لسان عبد الله بن أبي إسحاق، وبصورة موسعة، ومعللة يمكن أن نطلق عليه من خلال تعقباته أنه مارس النقد العلمي، وحكم قواعد النحو ومقاييسه في شعر الفرزدق .

ثانيًا : أننا لو استثنينا بيت ذي الرمة القائل :

وَعَينانِ قالَ اللَهُ كونا فَكانَتا ∴ فَعولانِ بِالأَلبابِ ما تَفعَلُ الخَمرُ؟

لعدم وقوفنا على سند يؤكد صحة ما نسب إلى ابن أبي إسحاق في طلبه من الفرزدق إنشاد البيت وتخطئته فيه، ذلك أن البيت وإن كان مقطوعًا به لذي الرمة إلى أن قصته وقع فيها اضطراب شديد، ومحصلة الروايات أن ستة من النقاد أسندت القصة إلى كل واحد منهما؛ لهذا استجابة لمعطيات البحث العلمي القائم على اليقين والبرهان لا نؤكد ذلك في حق عبد الله بن أبي إسحاق ولا ننفيه أيضًا، فالإثبات والنفي عندي سيان، وهو يدل على أن ثمة خطأ يعدُّه الناقد في البيت، ويرد عليه الشاعر بأنه تفسير للكلام على غير قصده .

أما الأبيات الثلاثة الأخرى فلا خلاف في نسبتها إلى ابن أبي إسحاق وإن كنا لا نعرف مساقها على الترتيب لكنها لما عرضت على العلماء النحاة اجتهدوا فيها ووجد محملًا للشاعر يخرجه من الخطأ، ويجعل له وجهًا مستساغًا في العربية، وإن تفاوتت تخريجات النحاة صحة وضعفًا.

فالناقد نفسه ابن أبي إسحاق وجد محملًا للشاعر في قوله :

عَلى عَمائِمِنا يُلقى وَأَرحُلِنا ∴ عَلى زَواحِفَ نُزجي مخها رير

ثالثًا : أن ما وقع بين ابن أبي إسحاق النحوي والفرزدق الشاعر يمثل اتجاهًا لبعض النحاة الذين لم يتحرجوا في تخطئة العربي، والطعن في كلامه ، وإصدار الأحكام بتخطئته من منطلق أن الجنس العربي كسائر الأجناس البشرية ليس معصومًا من الخطأ، وقد تزعم هذا الاتجاه عنبسة بن معدان الفيل الذي فتح باب الطعن في شعر الفرزدق ، وتبعه ابن أبي إسحاق وتلميذه عيسى بن عمر، ويقابل هذا الاتجاه اتجاه آخر يتحرج في نسبة الخطأ إلى العرب، ويتمثل هذا الاتجاه في شيخ القراء أبي عمرو بن العلاء العربي ويونس بن حبيب الضبي المستعرب .

غير أننا لا نتهم عبد الله بن ابي إسحاق بمعاداة الجنس العربي، والحط من شأنه، وإلحاق العيب بكلامه، فالرجل في تعقباته للفرزدق كان سليم القصد، حسن النية، يدافع – فحسب – عن علمه الذي أتقنه أن ينتهك، أو تعطل قوانينه، أو تهمل قواعده، والذي يشهد له بذلك دفاعه عن الفرزدق في نقد عنبسة الفيل إياه في البيت السابق، وجعل بيته يحتمل الصواب ، وفسَّره بتخريجين .

رابعًا : أنَّ هذه التعقبات تكشف عن عقلية هؤلاء الموالي الذين وجدوا شغفهم في العلم والمعرفة ، فشغلوا بهما، وتفرغوا لهما، فاكتسبوا العلم وحصلوه، وصاروا من حملته ورعاته، فبنيت بأفكارهم بعض العلوم العربية، وشادوا بنيانها، ووضعوا أقيستها وقوانينها، واجتهدوا في عللها وتفريعاتها، وأسهموا في الثقافة العربية والعقلية بما لا يجهل.

خامسًا : أن النحو – كما يقولون – منطق العرب ، وآلة اكتساب العلوم والمعارف، لذا لا يستغرب أن يهتم المستعربون بدراسته وتحصيله وإفراغ معارفهم وثقافتهم التي يجيدونها في تأسيس هذا العلم، والنبوغ فيه لحاجتهم إليه أولًا، ولأنه علم عقلي يناسب ما عرفوه من علوم عقلية فلسفية أو منطقية فاستعاضوا عن منطق أرسطو بالنحو، فظهر فيه علماء ، وتصدر أئمة كسيبويه ويونس والأخفش أبي سعيد، ومن قبلهم تلامذة أبي الأسود الدؤلي، وغير هؤلاء وهؤلاء خلق كثير أسهموا فيه إسهامًا لا يسع أحدًا انكاره .

وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

المصادر والمراجع

القرآن الكريم : جلَّ من أنزله .

١. أخبار النحويين البصريين للسيرافي ت ٣٦٨هـ تحقيق الزيني وخفاجي مطبعة البابي الحلبي ١٩٦٦م .

٢. أشعار الشعراء الستة الجاهليين للأعلم الشنتمري ت ٤٧٦هـ – المكتبة الشاملة

٣. الأصول في النحو لابن السراج ت ٣١٦هـ : ت : عبد المحسن الفتلي ، مؤسسة الرسالة . بيروت .

٤. الأعلام للزركلي ت ١٣٩٦هـ – دار العلم للملايين ، ط : الخامسة عشر آيار – مايو ٢٠٠٢م .

٥. الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ت ٣٥٦هـ إحياء التراث العربي بيروت – ط أولى – ١٤١٥هـ .

٦. أمالي المرتضى : غرر الفوائد ودرر القلائد ، للشريف المرتضى ت : محمد أبو الفضل إبراهيم – عيسى البابي الحلبي ١٩٥٤م .

٧. أمالي المرزوقي الأصفهاني ت ٤٢١هـ – المكتبة الشاملة .

٨. إنباه الرواة على أنباه النحاة للقفطي ت ٦٤٦هـ – محمد أبو الفضل إبراهيم – دار الفكر العربي – القاهرة ١٩٨٢م .

٩. البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة للفيروزآبادي ت ٨١٧هـ – دار سعد للطباعة والنشر والتوزيع ط : أولى ٢٠٠٠م .

١٠. تاريخ العلماء النحويين للتنوخي ت ٤٤٢هـ . د . الحلو نشر : هجر ط : ثانية ١٩٩٢م .

١١. تاريخ دمشق لابن عساكر ت ٥٧١هـ – ت : العمروي – دار الفكر للطباعة والنشر ١٩٩٥م .

١٢. التذكرة الحمدونية لابن حمدون ت ٥٦٢هـ . دار صادر – بيروت ط أولى ١٩١٧م.

١٣. التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل لأبي حيان الأندلسي ت د. حسن الهنداوي من ١ – ٥ ، وباقي الأجزاء دار كنوز بإشبيليا – ط أولى.

١٤. التعليقة على كتاب سيبويه للفارسي ت ٣٧٧ هـ . ت : عوض بن حمد الفوزي – ط أولى ١٩٩٠م .

١٥. التمام في تفسير أشعار هذيل لابن جني ت : مجموعة مطبعة العاني – بغداد ١٩٦٢م .

١٦. التنبيهات على أغاليط الرواة لعلي بن حمزة البصري ت ٣٧٥هـ – المكتبة الشاملة

١٧. تهذيب الكمال في أسماء الرجال للمزي جمال الدين ت ٧٤٢هـ . ت : د. بشار عواد – مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٨٠م.

١٨. تهذيب اللغة للأزهري ت ٣٧٠ هـ – ت : محمد مرعب – دار إحياء التراث العربي – بيروت – ط أولى ٢٠٠١م.

١٩. جمهرة أشعار العرب لأبي زيد القرشي ت ١٧٠هـ – ت : البجاوي– نهضة مصر للطباعة والنشر .

٢٠. الحلل في إصلاح الخليل من كتاب الجمل للبطليموسي ت ٥٢١هـ . ت: سعد سعودي .

٢١. الحماسة المغربية للجراوي النادلي ت ٦٠٩هـ – ت : محمد رضوان الداية – دار الفكر المعاصر بيروت طبعة أولى ١٩٩١م.

٢٢. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب لعبد القادر البغدادي ت ١٠٩٣هـ . ت : عبد السلام هارون – مكتبة الخانجي القاهرة ، ١٩٩٧م .

٢٣. الخصائص لابن جني – الهيئة المصرية العامة للكتاب . ط: الرابعة .

٢٤. ديوان الفزردق – ط أولى – دار صادر بيروت – لبنان .

٢٥. ديوان المعاني لأبي هلال العسكري ت ٣٩٥هـ – دار الجيل – بيروت لبنان.

٢٦. ديوان الهذليين للشنقيطي – الدار القومية للطباعة والنشر ١٩٦٥م .

٢٧. سمط اللآلي في شرح أمالي القالي لأبي عبيد البكري ت ٤٨٧هـ – عبد العزيز الميمني – دار الكتب العلمية . بيروت – لبنان .

٢٨. سير أعلام النبلاء لشمس الدين الذهبي – بيت الأفكار الدولي .

٢٩. شرح أبيات سيبويه لابن السيرافي يوسف ٣٨٥هـ – ت . د. الريح وآخر . مكتبة الكليات الأزهرية ، ودار الفكر ١٩٧٤م .

٣٠. شرح السيرافي لكتاب سيبويه ت. أحمد حسن مهدلي وآخر . دار الكتاب العلمية – بيروت – ط أولى ٢٠٠٨م .

٣١. شرح شواهد المغني للسيوطي ت ٩١١هـ – أحمد ظافر – لجنة التراث العربي.

٣٢. شرح مقامات الحريري للقيسي الشريشي – ١٩٩٨م .

٣٣. ضرائر الشعر لابن عصفور ت ٦٦٩هـ . ت : السيد إبراهيم دار الأندلس للطباعة والنشر ط أولى ١٩٦٠م .

٣٤. طبقات النحويين واللغويين للزبيدي – دار المعارف ١٩٨١م .

٣٥. طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي تحقيق : شاكر المدني .

٣٦. كتاب الشعر أو الأبيات مشكلة الإعراب لأبي علي الفارسي ت : محمود الطناحي – مكتبة الخانجي ١٩٨٨م .

٣٧. الكتاب لسيبويه ت ١٨٠هـ . ت : عبد السلام هارون – مكتبة الخانجي القاهرة ١٩٨٨م.

٣٨. مجالس العلماء للزجاجي ت ٣٣٧هـ – عبد السلام هارون – مكتبة الخانجي / القاهرة – ودار الرفاعي بالرياض – سنة ١٩٨٣م .

٣٩. مجموع فيه مصنفات أبي الحسن الحمامي وأجزاء حديثية أخرى – تح : نبيل سعد الدين حرار – ط أولى ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م .

٤٠. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية ت : عبد السلام عبد الشافي محمد – دار الكتب العلمية – ٢٠٠١م .

٤١. المزهر في علوم اللغة وأنواعها للسيوطي ت ٩١١هـ – تحقيق / محمد جاد المولى وآخرين – المكتبة المصرية – بدون تاريخ .

٤٢. مسائل الانتقاد لابن شرف القيرواني ت ٤٦٠هـ – المكتبة الشاملة .

٤٣. مصادر الشعر الجاهلي ناصر الدين الأسد – دار المعارف بمصر – ط :

سابعة ١٩٨٨م .

٤٤. المقتضيب لمحمد بن يزيد المبرد ت ٢٨٥هـ – ت : عضيمة – عالم الكتب – بيروت .

٤٥. من تاريخ النحو العربي لسعيد الأفغاني ١٤١٧هـ – مكتبة الفلاح طبعة أولى.

٤٦. الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء للمرزباني ت ٣٨٤هـ .

٤٧. نزهة الألباء في طبقات الأدباء لأبي البركات الأنباري ت ٥٧٧هـ – تحقيق : إبراهيم السامرائي – مكتبة المنار – الزرقاء بالأردن ١٩٨٥م

٤٨. نور القبس لليغموري ت ٦٧٣هـ .